المقاصد العقدية في آواخر ما نزل من القرآن الكريم (سورة البقرة أنموذجاً)

The Doctrinal Objectives in the last Ayas of the Holy Qur'an
(Surat Al - Baqarah as a Case Study)

الباحث

مروان محمد علي عبد الله

Marwan Mohammed Ali

الايميل: mar24h4003@uoanbar.edu.iq

إشراف

أ.م.د. زياد رشيد حمدي

Ziad Rashid Hamdi

الايميل: ed.ziad.rashid@uoanbar.edu.iq

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى بيان المقاصد العقدية في أواخر ما نزل من القرآن الكريم من خلال سورة البقرة، وكيف أسهمت هذه المقاصد في إظهار الغايات الإلهية والحكم الربانية الكامنة وراء تقرير أصول الإيمان وتتمثل مشكلة البحث في التساؤل عن طبيعة هذه المقاصد العقدية، وكيف ترتبط بتحقيق مصالح الإنسان في الدنيا والآخرة، وتحديداً مقصدي توحيد الله تعالى والإيمان باليوم الآخر وقد اعتمد الباحث على منهج تحليلي استقرائي يستند إلى تتبع دلالات النصوص واستنباط غاياتها وجاءت خطة البحث في مبحثين رئيسين: الأول لبيان مدخل إلى المقاصد العقدية وتعريفها، والثاني لتطبيقات هذه المقاصد في أواخر ما نزل من سورة البقرة وتجلياتها في (التوحيد واليوم الآخر) وخلص البحث إلى أن المقاصد العقدية ليست مجرد نظريات مجردة، بل هي ضروريات جاء الإسلام لحفظها، تهدف إلى تحقيق الهداية، وبناء الوعي الإيماني الرشيد، وضبط السلوك البشري من خلال استحضار مبدأ الحساب والجزاء.

الكلمات المفتاحية: المقاصد العقدية، أواخر ما نزل، القرآن الكريم، سورة البقرة، التوحيد، اليوم الآخر

Abstract of the Research:

This study aims to clarify the doctrinal objectives found in the latter revelations of the Holy Qur'an through Surah Al - Baqarah, and how these objectives contribute to revealing the divine purposes and wisdom underlying the establishment of the foundations of faith. The research problem centers on identifying the nature of these doctrinal objectives and how they relate to achieving human welfare in both this world and the Hereafter, with particular focus on the objectives of the oneness of God (Tawhid) and belief in the Last Day.

The researcher adopts an analytical and inductive methodology based on tracing the meanings of the texts and deriving their underlying purposes. The structure of the research consists of two main sections: the first provides an introduction to doctrinal objectives and their definition, while the second examines the applications of these objectives in the latter verses of Surah Al - Baqarah and their manifestations in Tawhid and the Last Day.

The study concludes that doctrinal objectives are not merely abstract theories; rather, they are essential principles that Islam seeks to preserve. They aim to achieve guidance, develop sound faith awareness, and regulate human behavior through the concept of accountability and recompense.

المقدمة

الحمد لله مستحق الحمد وأهله، ومبين الهدى بإيضاح سبله، أحمده حمداً دائما بلا فترة، وأشكره على نعمه التي لا تحصى كثرة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أدخرها نجاة من عذاب الحفرة، وسلاما من العدو في العسرة واليسرة، وأصلي على عبده ورسوله سيدنا محمد الذي اختاره واجتباه، وأحبه وارتضاه وعظمه وكرمه ورفعه على من سواه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبع هداه.

أما بعد: تعد المقاصد العقدية من القضايا العلمية التي تبرز عمق البنية المعرفية للعقيدة الإسلامية، وتحتل منزلة مرموقة في القرآن الكريم، لا سيما في أواخر ما نزل منه، حيث تكتمل معالم الدين وتتضح الغايات الكبرى وإن العقيدة بأصولها وفروعها قد شُرعت ابتداءً لتحقيق مصالح الإنسان وضمان سعادته، وجلب المصالح ودرء المفاسد ومن أجل بيان هذه الأهمية من الناحية التطبيقية، ارتأيت بعد التوكل على الله تعالى تناول إحدى القضايا الجوهرية في هذا البحث الموسوم: (المقاصد العقدية في أواخر ما نزل من القرآن الكريم سورة البقرة أنموذجاً).

أهمية البحث:

تتأتى أهمية الموضوع من أهمية مادته؛ فهو يتعلق بكتاب الله الخالد، ويسهم في إظهار الترابط الوثيق بين العقيدة ومقاصد الشريعة كما أن دراسة المقاصد العقدية تعد مدخلاً أساسياً لفهم البعد المقصدي في علم العقيدة، وربط الحقائق الإيمانية بمصالح الإنسان في الدنيا والآخرة.

سبب اختيار البحث:

يسعى هذا الموضوع إلى تسليط الضوء على الغايات الإلهية والحكم الربانية الكامنة وراء تقرير أصول الإيمان في أواخر ما نزل من القرآن، وبيان أثر مقاصد عظيمة مثل توحيد الله والإيمان باليوم الآخر في تصحيح المفاهيم، ترسيخ معاني المسؤولية، وضبط السلوك وتقويم الاعوجاج.

حدود البحث:

يتعلق البحث ببيان المقاصد العقدية في أواخر الآيات نزولا، مقتصرا على (سورة البقرة) كأنموذج تطبيقي.

إشكالية البحث:

تتحدد مشكلة البحث في التساؤلات الآتية:

١. ما هو مفهوم المقاصد العقدية وما هي خصائصها؟.

٢. ما هي أبرز المقاصد العقدية (التوحيد، اليوم الآخر) في أواخر ما نزل من سورة البقرة، وما أثرها في سلوك الفرد والمجتمع؟.

منهج البحث:

منهجي في هذا البحث هو المنهج الاستقرائي التحليلي، من خلال تتبع الآيات القرآنية في أواخر سورة البقرة، وبيان دلالاتها ومقاصدها العقدية في ضوء أقوال العلماء والمفسرين مع بعض الاستنباطات الخاصة.

خطة البحث:

اشتمل هذا البحث بعد هذه المقدمة الموجزة على مبحثين رئيسين، هما:

١. المبحث الأول: مدخل إلى المقاصد العقدية (تعريفها وخصائصها.)

٢. المبحث الثاني: المقاصد العقدية في أواخر ما نزل من سورة البقرة (مقصد توحيد الله وإفراده بالعبادة، ومقصد الإيمان باليوم الآخر والمسؤولية الأخروية.)

ثم خاتمة البحث (وتتضمن أهم النتائج.)

وقائمة المصادر والمراجع.

والله تعالى أسأل أن أكون قد وفقت في عملي هذا، وحسبي أني تشرفت بدراسة كتاب الله وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

المبحث الأول: مدخل إلى المقاصد العقدية.

تمهيد:

تعد المقاصد العقدية من القضايا العلمية التي تبرز عمق البنية المعرفية للعقيدة الإسلامية، إذ تكشف عن الغايات الإلهية والحكم الربانية الكامنة وراء تقرير أصول الإيمان ومضامينه ويسهم هذا المفهوم في إظهار الترابط بين العقيدة ومقاصد الشريعة، من حيث كونها تهدف إلى تحقيق الهداية، وترسيخ الإيمان وصيانة الفطرة، وبناء الوعي الإيماني الرشيد ومن هنا تبرز أهمية دراسة المقاصد العقدية بوصفها مدخلاً لفهم البعد المقصدي في علم العقيدة، وربط الحقائق الإيمانية بمصالح الإنسان في الدنيا والآخرة.

المطلب الأول: تعريف المقاصد (لغةً واصطلاحاً.)

أولاً: تعريف المقاصد لغةً واصطلاحاً.

المقاصد في اللغة: يتسع مفهوم المقاصد ليشتمل على طبقات دلالية متعددة يكشفها التتبع اللغوي، فهو يأتي بمعنى موضع القصد ويعني صفاء واستواء الطريق والصراط المستقيم الذي ليس فيه ضلال ولا انحراف كما يأتي بمعنى التوسط بين الطرفين؛ أي ما بين الإفراط والتفريط والعدل والجور، وكذلك بمعنى الاعتماد والتوجه والإصابة ويُستخلص من ذلك أن المقصد لغة هو: الغاية المقصودة التي يراد تحقيقها على وجه الحق والوسطية، والتوجه نحو الشيء على استقامة واعتدال[1].

المقاصد في الاصطلاح: عرف العلماء المقاصد بتعريفات عديدة فقيل إنها المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها[2] وذكر الإمام الغزالي أنها المصالح المجتلبة والمفاسد المبتعدة[3] وعرفها الإمام الشاطبي بأنها المصالح التي شرعت لأجلها الأعمال

(١) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار ٢ / ٣٣٥، لسان العرب، ٣ / ٩٦
تهذيب اللغة، ٨ / ٢٧٤
الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ٢ / ٢٥٤
معجم مقاييس اللغة، ٥ / ٩٥
(٢) ينظر: الأعلام، للزركلي. ٦ / ١٧٤
(٣) ينظر: المستصفى في علم الأصول، . ص١٧٤

الشرعية[١]، بينما عرّفها الطاهر بن عاشور بأنها الأعمال والتصرفات المقصودة لذاتها التي تسعى النفوس إلى تحصيلها[٢] ونستنتج من ذلك أن المقاصد اصطلاحا هي: الغايات أو الحكم أو المعاني التي أرادها الشارع من التشريع لتحقيق مصالح العباد ودرء المفاسد عنهم، مستندة إلى نصوص الوحي.

ثانياً: تعريف العقيدة لغةً واصطلاحاً.

العقيدة في اللغة: مأخوذة من (العقد) وهو الجمع بين أطراف الشيء مع الشد والتوثيق، ومثل العهد، واعتقد الشيء أي ثبت وتستعمل في الأشياء المعنوية حين الوثوق منها وتأتي من لزوم الشيء والعزم عليه وتأتي بمعنى العهد، وهي أوثق العهود وأوكدها[٣].

العقيدة في الاصطلاح: هي جزم القلب وعقده على توحيد الله سبحانه وتعالى مما وجب الإيمان به من دون شك أو تردد وقد عرّفها الإمام الجرجاني بأنها الحكم الذي لا يقبل فيه الشك لدى معتقده[٤]وعرفها الإمام سعد الدين التفتازاني بأنها العلم بالقواعد الاعتقادية الشرعية المكتسبة من الأدلة اليقينية المنسوبة إلى دين النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)[٥].

ثالثاً: تعريف المقاصد العقدية.

لم تحظ المقاصد العقدية بكثرة التعريفات لقلة من تناولها بالبحث، إلا أن هنالك إشارات متفرقة لها عند العلماء ومن أبرز التعريفات المعاصرة لها:

١. أنها العلل والغايات المتعلقة بمسائل الاعتقاد؛ فالعلة تدل على المقصد والغاية، وتختص حصراً بالمسائل المتعلقة بالاعتقاد[٦].

٢. أنها المقاصد والأبعاد العقدية التي قصد الشارع تحقيقها في كل ركن من أركان العقيدة، والمعاني المراد إبرازها في أجزائها[٧].

(١) ينظر: الموافقات في أصول الفقه ٢ / ٣٨٥
(٢) ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور التونسي ٢ / ٤٠٣
(٣) ينظر: كتاب العين، ٣ / ١٩٦
(٤) ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ٢ / ١٤٢
(٥) ينظر: شرح المقاصد في علم الكلام، ١ / ٧
(٦) ينظر: مسالك العلم بالمسالك العقدية عند الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، ص٣١٦
(٧) ينظر: مقاصد العقائد عند الإمام العز بن عبد السلام، بوطيب عبد القادر، إشراف د. عمار جيدل (رسالة جامعية)، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، ٢٠١٣م. ص٣٠

أنها الأهداف التي أراد الشارع الحكيم تحقيقها من خلال غرس العقائد الإيمانية في النفوس، بما ينتج عنه التزام عملي ومنهج سلوكي يحقق للمؤمن صلاح الدنيا وفلاح الآخرة(١).

الخلاصة:

يتبين مما سبق أن المقاصد العقدية هي: الحكم والغايات والأسرار والأهداف والمصالح من جملة الأوامر والنواهي التي تبين مراد الله سبحانه وتعالى من خلقه فيما يتعلق بالإيمان، من تقرير عبودية الله وحده، بما فيه من تحقيق صلاح العباد والبلاد.

المطلب الثاني: خصائص المقاصد العقدية واهميتها في الشريعة.

أولا: خصائص المقاصد العقدية.

الخاصية الأولى: توقيفية المصدر.

العقيدة عند اهل السنة والجماعة تعد توقيفيه، فلا تثبت الا بدليل شرعي، ولا مجال فيها للرأي او الاجتهاد ولا يدخلها النسخ اذ تستمد أصولها ومضامينها من المصادر القطعية المتمثلة في القران الكريم والسنة النبوية الصحيحة فالله تعالى هو الاعلم بذاته وبما يجب له من صفات الكمال وما ينزه عنه من صفات النقص، ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) هو المبلغ عن ربه بأكمل وجه، فلا يتلقى العلم بالله وبأصول الايمان الا من الوحيين ثم ان الكتاب والسنة يمثلان الأصل الأصيل والمصدر الصافي لعقيدة الإسلام، وهما المعيار الذي توزن به العقائد والاقوال والافعال، وقد امر تعالى بالاعتصام بهما والرجوع اليهما في جميع الأمور، ولا سيما عند وقوع الخلاف والاختلاف قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)(٢) قال ابن كثير، قال مجاهد وكثير من السلف ان يرد التنازع في ذلك الى الكتاب والسنة، أي يرجع الى الكتاب والسنة اذا حصل الخلاف فيجب التحاكم الى الكتاب والسنه اذا حصل تشاجر بين المسلمين، فدل الى ان من لم يتحاكم اليهما في محل الشجار او النزاع او الاختلاف ولا يرجع اليهما في ذلك فليس مؤمنا بالله واليوم الاخر(٣).

(١) ينظر: المقاصد العقدية في القصص القرآني،

(٢) النساء (٥٩)

(٣) ينظر: مختصر تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني ١ / ٤٠٨

الخاصية الثانية: اتساقها مع مقتضيات الفطرة السليمة ومقتضيات العقل القويم.

المقصود بالفطرة هي دين الإسلام[١]ان الله سبحانه وتعالى قد فطر النفوس على الايمان بهذا الدين القويم، كما بين ذلك النبي(صلى الله عليه وسلم) في الحديث الصحيح: كل مولود يولد على الفطرة[٢]أي على الملة الحنفية، يدل على ان الانسان يولد على الإسلام الخالص والتوحيد السليم وتدل هذه الفطرة على معرفة فطرية بالله تعالى معرفة إجمالية صحيحة، غير مشوبة بالانحراف او التشبيه، وهو ما يظهر في بساطة ادراك الانسان الفطري لحقيقة الاله، اذ لو سئل العامي او الاعرابي او الطفل المميز عن مكان الله تعالى لقال بفطرته: في السماء وهذه الفطرة تشمل جميع البشر؛ فحتى أولاد غير المسلمين يولدون على الاقرار بوحدانية الله تعالى، غير ان ما يطرأ عليهم من مؤثرات بيئية وتربوية لاحقة قد يغير تلك الفطرة السليمة، كما في قول النبي(صلى الله عليه وسلم): فأبواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه.

الخاصية الثالثة: الثبات وعدم التغيير.

المقاصد العقدية ثابتة لا تتبدل بتبدل الزمان او المكان، لأنها متعلقة بأصول الدين خلاف بعض المقاصد الفقهية التي قد تتغير بتغيير العادات والمصالح، وان أصول الاعتقاد واساسياته التي جاء بها الوحي من عند الله تعالى هي حق ثابت لا يقبل التغيير او التحريف او الإضافة او الالغاء فما كان حقا في زمن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم.).

فهو حق الى قيام الساعة [٣]ان الدين الإسلامي قد كمل لقوله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)[٤] وكان الصحابة رضي الله عنهم قد تلقوه عن النبي (صلى الله عليه وسلم)واعتقدوه واطمأنت اليه نفوسهم، فلا حاجة بعد ذلك الى تحكيم العقول وجعلها أصلا يرجع اليه في تقرير العقائد او فهم النصوص اذ ان عرض النصوص الصريحة على العقول وجعلها محكا لها يؤدي الى الاضطراب في الفهم، فيعمل بمضمونها تارة، وتؤول او تحرف تارة أخرى، لتوافق ما تراه العقول، ومن المقرر ان الدين بعد كماله لا يزاد فيه الا

(١) ينظر: مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية ٧١ / ٢٥٦

(٢) ينظر: صحيح البخاري ٢ / ١٠٠ رقم الحديث ١٣٨٥

(٣) ينظر: الفقه الإسلامي وأدلته١ / ١٣٩

(٤) المائدة ٣

وكان في تلك الزيادة انتقاص من تمامه وكماله مثل زيادة الاصبع في اليد فانها تنقص من قيمة العبد ان هذا المبدأ الذي قرره الإسلام يقوم على اعمال العقل الإنساني وتحميله مسؤولية مقاومة كل محاولات تعطيله او تقييد مسيرته باسم التنبؤ او بدعوى الوصاية الإلهية، كما ابطل الإسلام دعوى العصمة لغير الأنبياء، مؤكدا ان انقطاع النبوة لا يعني انقطاع الدين، اذ تبقى الحياة الدينية مستمرة ببقاء الوحي الإلهي المتمثل في القران الكريم وسنة النبي (صلى الله عليه وسلم) ثم ان الإسلام دعا العقل الى أداء وظيفته، ووظيفة العقل في نظر الإسلام، هي ان يقوم بعبء وظيفته الشرعية هي، الفهم والتدبر والتفكر وان لا يدع وظيفته هذه لأي مضلل ينهاه عنها[١].

الخاصية الرابعة: تزكية النفس الإنسانية وسموها لتحقيق غاية العبودية.

ترمي المقاصد الإسلامية الى تزكية النفس وتهذيب السلوك وإقامة التوازن بين الجسد والروح والعقل، ليبلغ الانسان غاية العبودية لله والعبادة لغة: عبد يعبد عبادة فلا يقال الا لمن يعبد الله، وتعبد تعبدا، أي: تفرد بالعبادة واما عبد خدم مولاه، فلا يقال: عبده ولا يعبد مولاه، واستعبدت فلانا، أي اتخذته عبدا وتعبد فلان فلانا، أي: صيره كالعبد له وان كان حرا[٢]عبد يعبد، عبادة وعبودية، فهو عابد، والمفعول معبود، عبد الله: وحده واطاعه، وانقاد وخضع وذل له، والتزم شرائع دينه، وأدى فرائضه الله هو المعبود بحق - الصلاة عبادة روحية ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت[٣] والعبادة هي التذلل والخضوع والسكون والطاعة، وتعني اظهار الغاية من الخضوع والتذلل لله والعبادة اصطلاحا: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الاقوال والاعمال الظاهرة و[٤]الباطنة او هي التعبد لله بفعل ما امر به واجتناب ما نهى عنه على وجه الخضوع له والتذلل ان الله سبحانه وتعالى عندما خلق الخلق خلقه لغاية سامية شريفة وهي عبادته وحده لا شريك له، لما كانت الغاية من وجود الانسان هي عبادة الله تعالى وكان التوحيد يمثل اصل العبادات وركيزتها الكبرى، فان اعظم ما يجب على العبد ادراكه والايمان به هو توحيد الله سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته وافعاله، وما يترتب على ذلك من الايمان بملائكته ورسله وكتبه واليوم الاخر والقدر خيره وشره أخذ الله سبحانه وتعالى عليهم العهد والميثاق بأن نؤمن به وحده

(١) ينظر: تاريخ الفكر الديني الجاهلي، محمد إبراهيم الفيومي ص٢٤
(٢) ينظر: كتاب العين، السامرائي، دار ومكتبة الهلال. ٢ / ٤٨
(٣) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصر٢ / ١٤٤٨
(٤) ينظر: مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التيمي الرازي ٣٢ / ٢٤٣

لا شريك له والمقاصد ترمي الى تزكية النفس وتهذيب السلوك وان من اعظم أسباب تزكية النفس أهمية الطاعة والمحافظة عليها، وان من أسباب اهمال الطاعة الوقوع في المعصية وهذا يؤدي الى الخيبة والخسران، قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى قد افلح من زكاها أي قد افلح من زكى نفسه عن المعاصي والكفر، واصلح نفسه بالأعمال الصالحة(١).

ثانيا: المقاصد العقدية وعلاقتها بمقاصد الشريعة العامة.

ان المقاصد العقدية كما تقدم معنا هي الأهداف والحكم التي تهدف اليها العقائد الإسلامية لا شك انها تتكامل مع مقاصد الشريعة الإسلامية وهذه الأخيرة هدفها تحقيق مصالح الافراد والجماعات الدينية والدنيوية كما ان هناك تشابه بين المقاصد العقدية ومقاصد الشريعة من حيث ان غايتهما تحقيق المصالح ودفع المفاسد، وتعد المقاصد العقدية الاطار او السور الذي يحيط ويرجع الامة نحو تحقيق الشريعة الإسلامية ان لمقاصد العقائد مكانة عظيمة لا تقل أهمية عن العقائد نفسها، فهي تلتقي مع مقاصد الشريعة في كونها شرعت لتحقيق مصالح العباد في الدنيا والاخرة، عاجلها واجلها ويشهد لذلك الاستقراء التام للنصوص الشرعية من جهة، ولما تقتضيه مصالح الناس من جهة أخرى، اذ ان الله تعالى منزه عن العبث في الخلق والايجاد والتهذيب والتشريع كما ان النصوص الشرعية في مجالات العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات والعقوبات وغيرها، قد وردت معللة بغايات سامية تتمثل في جلب المصالح ودرء المفاسد.

يعنى القران الكريم ببيان المقاصد الشرعية للايات العقدية، وقد اكد الامام الغزالي هذا المعنى مبينا ان العقيدة باصولها وفروعها قد شرعت ابتداء لتحقيق مصالح الانسان، وضمان سعادته في الدنيا و الاخرة ان المقاصد الشرعية والمقاصد العقدية اهدافهما واحدة تدور حول غرضين مهمين هما جلب المصالح ودرء المفاسد لكل الناس، والفرد والمجتمع على حد سواء، وفي ضوء هذه المقاصد تتحد علاقة الافراد والجماعات وتنظيم العلاقة بينهما في ضوء شبكة العلاقات الاجتماعية بحيث يتوجه المجتمع كله لتحقيق الأهداف الكبرى التي تهدف اليها هذه المقاصد وتسعى الى تحقيقها في المجتمع(٢).

(١) ينظر: زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه ٢٣٣

(٢) ينظر: الفقه الإسلامي وأدلته

كتاب العين، ١ / ١٩

وقد ذكر الاصوليون الضروريات الخمس حفظ الدين، النفس، النسل، المال، العقل، ان العقيدة بمقاصدها هي احدى هذه الضروريات، التي جاء الإسلام حتى يحافظ عليها، قال تعالى من سورة الاسراء (الايه ٢٣ الى الاية ٣٩) يعد حفظ الدين احد المقاصد الكلية للشريعة الإسلامية، ويتجلى تحقيق هذا المقصد من خلال الكشف عن العقائد الباطلة والتنبيه الى خطرها ليتجنبها الناس[١] كما يتحقق حفظ الدين عبر مسارين رئيسين: أولا: تحقيق المعرفة الصحيحة بالدين، وبذل الجهد في نشرها وتعليمها للناس، ودعوتهم الى الالتزام بمقتضياتها ثانيا: تتأكد الحاجة للرد على المخالفين، لما يقومون به من تزييف للحقائق وتزيين للباطل، من خلال عرض شبهاتهم في أسلوب بليغ وصياغة مؤثرة، الامر الذي قد يوقع كثيرا من الناس في مظان الانحراف والضلال من غير ادراك او وعي، فيجب بيان الحق وتمييز الحق من الباطل فان الله عز وجل يقول[٢].

المبحث الثاني: المقاصد العقدية في اواخر ما نزل من القران الكريم.

المطلب الاول: مقصد توحيد الله وافراده بالعبادة واثره في تصحيح المفاهيم.

اولا: التوحيد مفهومه واهميته.

يمثل التوحيد حجر الزاوية والغاية الكبرى التي من اجلها خلق الله البشر وارسل الرسل وانزل الكتب السماوية فهو الاصل الذي يرتكز عليه بناء الايمان وتوجيه السلوك البشري نحو العبودية الخالصة لله ويرجع اصل هذه الكلمة في اللغة الى الانفراد وجعل الشيء واحدا سواء تعلق ذلك بالعدد او بالحكم[٣] وحين يوصف الخالق سبحانه بالواحد فهذا الوصف ينفي عنه اي تجزئة او تكاثر كما انه يعني تفرد الله سبحانه في ذاته وصفاته وافعاله بحيث لا يوجد له مثيل او نظير[٤].

اما في الاصطلاح الشرعي فقد تنوعت عبارات العلماء في بيانه وهي تتقاطع في المعنى ذاته فقد بين الامام الطحاوي ان التوحيد يقتضي الاعتقاد الجازم بان الله فرد لا شريك له ولا

(١) ينظر: الوجيز في أصول الفقه الإسلامي ١ / ٣٣
(٢) ينظر: إحياء علوم الدين، ١ / ٩٧
(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، (٦ / ٩٠).
(٤) ينظر: الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية، آمال بنت عبد العزيز العمرو، (ص: ١٣).

يعجزه شيء وليس هناك اله سواه[١] ويعني التوحيد كذلك الاقرار بتفرد الخالق بصفات الجلال والكمال وافراده وحده بالخضوع والطاعة[٢] وعند علماء الكلام هو الجزم بوحدانية الخالق في ذاته وصفاته وافعاله[٣].

وفي هدي النبوة تركز مفهوم التوحيد على شهادة ان لا اله الا الله وافراده بالعبادة ويتضح هذا جليا في وصية النبي (صلى الله عليه وسلم) لمعاذ بن جبل حين ارسله لليمن قال: إنَّك تأتي قومًا أهلَ كتابٍ فليكن أوَّلُ ما تدعوهم إليه شهادةَ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وأنَّ محمَّدًا رسولُ اللهِ[٤].

ثانيا: تجليات مقصد التوحيد في اواخر ما نزل.

يعد توحيد الخالق من ابرز المقاصد التي اكد عليها القران الكريم لا سيما في الايات التي نزلت في اواخر العهد النبوي حيث ركزت على تثبيت العقيدة الصافية في القلوب وتخليصها من اي شائبة شرك مع ربط هذا الايمان بمسؤولية الانسان واستعداده للحساب وقد جاء ختام التنزيل ليؤكد هذا المقصد الكلي الذي تندرج تحته بقية المقاصد العقدية والتشريعية.

وتتفرع مقاصد التوحيد في هذه الايات الى عدة جوانب منها الدعوة الصريحة الى افراد الله بالعبادة لكونه المنعم المتفضل بالخلق والتدبير فهذا الامر الالهي هو اول امر يواجه قارئ القران وقد علل الله وجوب عبادته بكونه المربي لخلقه بنعمه المتعددة كما تؤكد الايات على شهادة الخالق لنفسه بالوحدانية ومعه الملائكة واهل العلم وهذا يتضمن نفي استحقاق العبادة عن كل ما سواه واثباتها له وحده دون شريك في ملكه او عبادته.

وتربط الايات بوضوح بين توحيد الربوبية المتمثل في خلق الكون وانزال المطر وبين توحيد الالوهية الذي يوجب افراد الخالق بالعبادة وعدم اتخاذ انداد له ورغم ان المشركين كانوا يقرون بتوحيد الربوبية الا انهم استكبروا عن توحيد الالوهية ولذلك اقام القران عليهم الحجة بما اقروا به ليلزمهم بما انكروه كما قال تعالى (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ)[٥] فمن تفرد بخلق السموات والارض وتدبير شؤونهما هو المستحق لان يفرد بالعبودية والخضوع[٦].

(١) ينظر: متن العقيدة الطحاوية (ص: ١٧).
(٢) ينظر: القول السديد شرح كتاب التوحيد (ص: ١٧).
(٣) ينظر: شرح الرسالة التدمرية، محمد بن عبد الرحمن الخميس (ص: ٣٨٢).
(٤) صحيح البخاري، ٤ / ٣٧٨ رقم الحديث ٧٣٧٢
(٥) الزمر ٣٢
(٦) ينظر: عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، محمد أحمد محمد عبد القادر خليل مكاوي (ص: ١٤٣).

ثالثا: الاثار السلوكية والتربوية لمقصد الايمان باليوم الاخر في ضوء خواتيم سورة البقرة.

يترك مقصد الايمان باليوم الاخر اثارا عميقة في توجيه سلوك الانسان وضبط انفعالاته وتبرز هذه الاثار بوضوح جلي في الايات الاخيرة من سورة البقرة والتي تعد من اواخر ما نزل من القران الكريم حيث اسست لمنهج سلوكي متكامل يربط العمل في الدنيا بالجزاء في الاخرة ويمكن ابراز هذه الاثار من خلال النقاط الاتية:

الرقابة الذاتية ومحاسبة النفس: استحضار الوقوف للحساب يولد في النفس رقابة ذاتية صارمة تدفع الى الاستقامة وتزجر عن الوقوع في المعاصي سواء في السر او العلن وقد تجلى هذا المقصد التربوي العظيم في قوله تعالى (لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)(١) فهذه الاية تربط بشكل مباشر بين ما يخفيه الانسان في صدره وما يبديه لجوارحه وبين يقينه بمحاسبة الله له مما يثمر مراقبة دائمة وخوفا محمودا يضبط تصرفات المؤمن.

المبادرة الى الطاعة واستشعار الرجوع الى الله:

يورث هذا الايمان يقينا لدى المسلم بان مصيره المحتوم هو الوقوف بين يدي الخالق مما يدفعه لسرعة الاستجابة وطلب المغفرة اقتداء بالنبي (صلى الله عليه وسلم) وصحابته الكرام ويظهر هذا الاثر السلوكي في الاستجابة الفورية التي خلدها القران في خواتيم البقرة حيث قال تعالى (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ)(٢) فادراك معنى المصير والرجوع الى الله هو الدافع الاكبر للاستعداد بالطاعات.

ترسيخ مبدأ المسؤولية الفردية:

يعزز مقصد الايمان باليوم الاخر الشعور بالمسؤولية الفردية عن كل عمل حيث يدرك الانسان ان التكاليف الشرعية متناسبة مع قدرته وان نتيجتها تعود عليه بالخير او الشر وهذا ما قرره القران بوضوح في قوله تعالى (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ)(٣) فكل عمل صالح يكسبه الانسان سيجد ثوابه وكل اثم يقترفه سيتحمل وزره يوم الحساب.

(١) البقرة ٢٨٤
(٢) البقرة ٢٨٥
(٣) البقرة ٢٨٦

الاستعداد ليوم الجزاء واليقين بالعدل المطلق:

يمنح هذا المقصد المؤمن دافعا قويا لتجنب الظلم واداء الحقوق لاصحابها ليقينه بان العدالة الالهية ستتحقق كاملة دون اي نقص او محاباة وهذا المعنى يتوج اخر اية نزلت من القران الكريم على الاطلاق والتي ختمت بها التوجيهات الربانية حيث قال تعالى (وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)[1] فهي دعوة صريحة ومباشرة لضبط السلوك المالي والاخلاقي في الدنيا.

المطلب الثاني: مقصد الايمان باليوم الاخر والمسؤولية الاخروية.

يعد الايمان باليوم الاخر احد المقاصد العظمى في العقيدة الاسلامية لما يترتب عليه من ترسيخ لمعاني المسؤولية واستحضار دائم لمبدأ الحساب والجزاء فاليقين بلقاء الله تعالى والوقوف بين يديه للحساب ينشئ في النفس وازعا ايمانيا يضبط السلوك ويقوم الاعوجاج ويبعث على الاستقامة والعدل كما يحقق التوازن بين الرجاء والخوف وقد اكد القرآن الكريم هذا المقصد تأكيدا بالغا مقرنا الايمان باليوم الاخر بالايمان بالله ومذكرا العباد بحتمية الجزاء قال تعالى: (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ)[2] وفي ذلك اعظم حافز على مراقبة الله واستشعار عدله والاستعداد ليوم لا ينفع فيه الا العمل الصالح.

اولا: تعريف اليوم الاخر.

اليوم في اللغة: الوقت المعروف من طلوع الفجر الى غروب الشمس ويطلق على مطلق الزمن[3]الايام جمع يوم والايام مطلق الاوقات والازمان نحو قوله تعالى: (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ)[4] وتطلق مجازا على اوقات الظفر والغلبة نحو قوله تعالى: (وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ)[5] ومنه قولهم ايام العرب اي وقائعها وحروبها التي نشبت بين القبائل العربية في الجاهلية وانما خصوا الايام بالوقائع دون ذكر الليالي لان حروبهم كانت نهارا[6].

(١) البقرة ٢٨١
(٢) الزلزلة، (٧ - ٨)
(٣) ينظر: لسان العرب، (١٢ / ٦٤٩).
(٤) الحاقة، الآية: (٢٤).
(٥) آل عمران (١٤٠).
(٦) ينظر: الكليات: معجم في المصطلحات والفرقة اللغوية (١ / ٩٨٣)، تاج العروس من جواهر القاموس، (٣٤ / ١٤٥)،

تعريف اليوم اصطلاحا: هو الزمن الممتد من الفجر الصادق الى غروب الشمس كما في ايام الصوم واليوم هو زمان ممتد من طلوع الفجر الثاني الى غروب الشمس[١] ومن شواهده حديث سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رجلا من اليهود قال له يا امير المؤمنين اية في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال اي اية قال قوله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)[٢]قال سيدنا عمر قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وهو قائم بعرفة يوم الجمعة[٣] الاخر لغة ضد الاول اي ما بعده ولا شيء بعده[٤].

الاخر اصطلاحا: هو ما بعد الدنيا من احوال ومصير اخروي يترتب عليه الحساب والجزاء وهو المقابل للاولى التي هي دار العمل بينما الاخرة دار الجزاء[٥] ويستعمل لفظ الاخر في العقيدة بمعنيين رئيسين باعتباره وصفا لله تعالى كما في قوله صلى الله عليه وسلم انت الاول فليس قبلك شيء وانت الاخر فليس بعدك شيء فالاخر هنا الذي لا شيء بعده الباقي بعد فناء خلقه[٦] باعتباره متعلقا باليوم الاخر وهو ما يكون بعد انقضاء الدنيا من بعث وحساب وجزاء والاخرة اسم للدار التي بعد الدنيا[٧] اليوم الاخر هو ذلك اليوم الذي يحاسب الله الناس على اعمالهم وهو كل ما يكون بعد الموت من فتنة القبر ونعيمه او عذابه والبعث والحشر والحساب والميزان والصراط والجنة والنار[٨] وسمي بهذا الاسم لانه لا يوم سواه[٩]والمراد باليوم الاخر امران الاول فناء العوالم كلها وانتهاء الحياة بكاملها والثاني اقبال الحياة الاخرة وابتداؤها والايمان باليوم الاخر احد اركان الايمان الستة.

معجم اللغة العربية المعاصرة (٣ / ٢٥٢٢).

(١) ينظر: معجم متن اللغة، (٥ / ٨٤٣)، ألفاظ الزمان بين اللغة والقرآن (بحث)، مجلة آداب المستنصرية، العدد ٤، ١٩٧٩م: (٢٧٠).

(٢) المائدة (٣)

(٣) صحيح البخاري(٦ / ٥٠) رقم الحديث: ٤٦٠٦، صحيح مسلم (٤ / ٢٣١٣) رقم الحديث: ٣٠١٧،

(٤) ينظر: لسان العرب مادة آخر، (٤ / ١٢).

(٥) المفردات في غريب القرآن (ص: ١٩)، متن العقيدة الطحاوية (ص: ٣٧).

(٦) صحيح مسلم (٤ / ٢٠٨٤)، برقم ٢٧١٣.

(٧) ينظر: التعريفات (ص: ٢١).

(٨) ينظر: الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد (ص: ١٩٨).

(٩) صحيح مسلم (١ / ٢٨)، رقم الحديث: (٨).

ثانيا: مكانة الايمان باليوم الاخر في العقيدة الاسلامية.

لليوم الاخر مكانة عظيمة في العقيدة الاسلامية ويتجلى ذلك في عدة امور اذ هو احد اركان الايمان الستة التي لا يصح ايمان العبد الا بها كما في حديث جبريل عليه السلام عندما سأل النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)عن الايمان قال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وتؤمن بالقدر خيره وشره كثرة الاقتران بالايمان بالله في القرآن الكريم كثيرا ما يقرن الله سبحانه وتعالى الايمان به بالايمان باليوم الاخر قال تعالى: (وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ)(١) وقال تعالى: (لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ)(٢)وهذا يدل على الترابط الوثيق بين الايمان بالخالق والايمان بالمصير غاية ارسال الرسل وانزال الكتب لولا وجود يوم اخر للحساب والجزاء لكانت رسالة الرسل والتكاليف الشرعية عبثا لا معنى لها والله منزه عن العبث قال تعالى: (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ)(٣).

ثالثا: التأكيد على الحساب والجزاء.

الحساب لغة مأخوذ من مادة ح س ب وهي تدور على معنى العد والاحصاء والتقدير والمجازاة والحساب العد ويقال حاسبه على عمله اي جازاه به(٤) الحساب اصطلاحا مناقشة الله لعباده يوم القيامة في اعمالهم واظهار مقاديرها واطلاعهم عليها ثم مجازاتهم عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر(٥)ونؤمن بحساب الخلائق يوم القيامة ومجازاتهم باعمالهم(٦)ادلة ثبوت الحساب من الكتاب والسنة والاجماع من القرآن الكريم قال تعالى: (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ)(٧)وقال تعالى: (إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم)(٨) فالحساب حق ثابت قام عليه الدليل القطعي من مصادر التشريع من السنة النبوية عن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها ان النبي(صلى الله عليه وسلم)

(١) البقرة(٤)
(٢) البقرة (١٧٧)
(٣) المؤمنون (١١٥)
(٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة، (٢ / ٦٠).
(٥) ينظر: لسان العرب مادة حسب، (١ / ٣١٥).
(٦) ينظر: الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد (ص: ٢٠٥).
(٧) الأنبياء (٤٧)
(٨) الغاشية (٢٥ - ٢٦)

كان يقول في صلاته اللهم حاسبني حسابا يسيرا فلما سألته عن الحساب اليسير قال ان ينظر الله في كتابه فيتجاوز عنه(١).

حديث ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (ان الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول اتعرف ذنب كذا اتعرف ذنب كذا فيقول نعم اي رب حتى اذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه انه هلك قال سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته)(٢) الاجماع اجمع علماء الامة والمسلمون على ثبوت الحساب يوم القيامة وان من انكره فقد كذب بالقرآن والسنة واجماع الامة(٣) صفة الحساب وانواعه حساب العرض واليسير هو عرض الاعمال على العبد ومناقشته فيها مع التجاوز والستر هذا للمؤمنين المتقين فقد جاء عن النبي محمد(صلى الله عليه وسلم) ان الحساب اليسير هو العرض اشارة الى تفسير قوله تعالى: (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا)(٤) كما جاء في صحيح البخاري عن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من نوقش الحساب عذب اما الحساب اليسير فهو مجرد عرض الاعمال فقط(٥) حساب المناقشة والعذاب وهو التدقيق في الاعمال والسيئات وعدم التجاوز عنها وهذا يكون للكفار والمنافقين والمشركين والمذنبين الذين لم يغمدهم الله برحمته.

رابعا الحكمة والمقصد من الايمان باليوم الاخر والحساب والجزاء.

اولا تحقيق العدالة الالهية المطلقة: الدنيا ليست دار جزاء بل دار ابتلاء فالايمان باليوم الاخر يحقق العدالة الكاملة حيث يأخذ المظلوم حقه من الظالم ويجزي المحسن على احسانه قال تعالى: (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى)(٦) اي ان الخلق بعد البعث سيحاسبون على اعمالهم ليجزي اي سبحانه وتعالى سيجازي الذين اساءوا العمل من الشرك فما دونه يجازيهم بما عملوا من اساءة ويجزي

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٨ / ٣٧٩)، مسند الإمام أحمد بن حنبل (٦ / ٤٨)، صحيح ابن خزيمة (٢ / ٣٠) المستدرك على الصحيحين (٤ / ٢٧٨)
(٢) صحيح البخاري(٣ / ١٢٨)رقم الحديث: (٢٤٤١)
(٣) صحيح البخاري (٧ / ١٢٦) رقم الحديث: (٥٧٠٥)
(٤) الانشقاق (٧ - ٨)
(٥) ينظر: مختصر تفسير ابن كثير، محمد علي الصابوني (٢ / ٦١٩).
(٦) النجم (٣١)

الذين احسنوا في عبادة ربهم ووحدوه واحسنوا الى خلقه واخلصوا له الاعمال سوف يثبتهم على اعمالهم ويجزيهم الحسنى وهي الجنة[١] وهذا من حكمة الله العظيمة في بعث الناس ومحاسبتهم فلو لم يكن هناك جزاء ولا حساب لظلم الناس بعضهم بعضا وعمت الفوضى في الحياة[٢] ثانيا تحقيق التوازن المجتمعي الايمان باليوم الاخر هو الضمان الحقيقي لاستقامة المجتمعات لانه يمثل رادعا اخلاقيا وقانونيا داخليا ردع الظالم من يؤمن انه سيقف بين يدي للحساب سيتردد كثيرا قبل ان يظلم الناس او يأكل حقوقهم قال تعالى: (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ)[٣]وفي الصحيحين عن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها ان النبي)صلى الله عليه وسلم(قال: يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب احدهم في رشحه الى انصاف اذنيه[٤].

المطلب الثالث: اثر مقصد الايمان باليوم الاخر في ضبط سلوك الانسان.

يعد مقصد الايمان باليوم الاخر من المقاصد العقدية المؤثرة في توجيه سلوك الانسان ومن اثاره الجد والاجتهاد في العمل حيث يدفع المؤمن الى الاكثار من الطاعات والعمل الخير رجاء الثواب حيث كان السلف رحمهم الله همومهم وهممهم الاخرة فهم يعرفون ان الدنيا دار ممر لا دار مقر يقول تعالى: (مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ)[٥] الخوف من المعاصي والذنوب ان المؤمن الذي يؤمن بالله واليوم الاخر ويردعه ايمانه عن ارتكاب المحرمات لانها تقلل من الحسنات[٦] قال تعالى: (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ)[٧] فالمؤمن اذا وقع في المعصية يتذكر الله سبحانه وتعالى ويستغفر ويتوب الى الله الصبر على المصائب ان المؤمن يعلم ما يصيبه في الدنيا يكفر من سيئاته او يرفع من درجاته وان الجزاء الحقيقي

(١) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول (ص: ٩٢)، تيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول (ص: ١٩٥).
(٢) ينظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، (٢ / ٨١٦).
(٣) سزرة ابراهيم (٤٢)
(٤) صحيح البخاري (٦ / ١٦٧)، رقم: (٤٩٣٨)،
(٥) الشورى (٢٠)
(٦) ينظر: شرح عقيدة السلف وأصحاب الحديث، عبد العزيز بن عبد الله الراجحي (٩ / ٨)
(٧) ال عمران (١٣٥)

في الاخرة فيصبر ويحتسب قال تعالى:)وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ(([1] عندما ذكر الله سبحانه وتعالى الصبر مع الصلاة لان الصبر هو القوة النفسية التي تعين الانسان على تحمل مشاق الحياة الزهد في الدنيا لا يعني تركها بالكلية بل يعني جعلها في اليد لا في القلب والعمل لها بقدر وللاخرة بكل جهد[2] قال تعالى: (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ)[3] ويتضح من ذلك ان قوله تعالى: (وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)[4]هي اخر ما نزل من القرآن الكريم وان المقصد العقدي في هذه الآية هو الايمان باليوم الاخر وتذكيرنا بيوم الرجوع الى الله للحساب والجزاء وان كل فرد هو مسؤول عن عمله وختم الله سبحانه وتعالى هذه الآية وهم لا يظلمون اثبات عدل الله وكمال حكمته وان الجزاء سيكون على قدر العمل بلا زيادة ولا نقصان[5] رجاء النجاة في ذلك الموقف المهيب.

المطلب الثالث: مكانة أواخر سورة البقرة وخصائصها في السنة النبوية.

تكتسب أواخر سورة البقرة أهمية بالغة في التقرير العقدي والتشريعي، وقد تواترت الأحاديث النبوية الشريفة والآثار في بيان فضائلها وخصائصها التي تميزت بها عن غيرها من سور القرآن الكريم ويمكن تصنيف هذه النصوص إلى ثلاثة محاور أساسية تخدم المقاصد العقدية:

أولاً: خصائص أواخر سورة البقرة ومكانتها التوقيفية.

تفردت خواتيم سورة البقرة بخصائص عظيمة تدل على شرفها ومكانتها عند الله تعالى، ومن أبرز ذلك: مصدرها من كنز تحت العرش: لحديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): أعطيت خواتيم سورة البقرة من بيت كنز من تحت العرش، لم يعطهن نبي قبلي[6].

(١) البقرة (٤٥)
(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء (١٠ / ٤٩٠)، البداية والنهاية (١٠ / ٣٠٤).
(٣) لقصص (٧٧)
(٤) البقرة (١٨٢)
(٥) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني (١ / ٣٤٦).
(٦) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣٥ / ٢٧٤

نزولها ليلة الإسراء والمعراج: لحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: لما أسري برسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنتهي به إلى سدرة المنتهى إلى أن قال: فأعطي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثلاثا: أعطي الصلوات الخمس، وأعطى خواتيم سورة البقرة(١).

وصفها بالنور: لحديث ابن عباس رضي الله عنهما في قصة نزول الملك، وفيه قال الملك للنبي (صلى الله عليه وسلم): أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منها إلا أعطيته(٢).

ثانياً: فضائلها وأثرها في التحصين والدعاء.

إلى جانب خصائصها العظيمة، بينت السنة النبوية الآثار العملية والفضائل المترتبة على قراءة هذه الآيات، وتتمثل في:

الكفاية والحفظ: لحديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: الآيتان من آخر سورة البقرة، من قرأهما في ليلته كفتاه(٣).

طرد الشياطين والتحصين: لحديث النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: إن الله كتب كتابا قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام، أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة لا يقرآن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان(٤).

ثالثاً: الأثر التشريعي لأواخر سورة البقر.

لم يقتصر نزول أواخر البقرة على الجانب العقدي والدعوي فحسب، بل ارتبط أيضاً بأحكام تشريعية تنظم حياة المجتمع، لحديث مسروق بن الأجدع عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما نزلت الآيات من أواخر سورة البقرة، خرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فاقترأهن على الناس، ثم نهى عن التجارة في الخمر(٥).

(١) صحيح مسلم (١ / ٥٥٤، ٢ / ١٩٨). رقم الحديث: ٨٠٦
(٢) صحيح مسلم (١ / ٥٥٤) رقم الحديث: ٨٠٦
(٣) صحيح مسلم(٢ / ١٩٨) رقم الحديث: ٨٠٧
(٤) سنن الترمذي(٥ /)١٠ رقم الحديث٢٨٨٢
(٥) صحيح مسلم(٣ / ١٢٠٦)رقم الحديث: ١٥٨٠

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد رحلة علمية ماتعة في رحاب كتاب الله تعالى وسنة نبيه (صلى الله عليه وسلم)، وفي ضوء دراسة المقاصد العقدية في أواخر ما نزل من القرآن الكريم من خلال سورة البقرة، توصل البحث إلى جملة من النتائج والتوصيات، يمكن إجمالها فيما يأتي:

أولا: النتائج.

إن المقاصد العقدية ليست مجرد نظريات مجردة، بل هي ضروريات جاء الإسلام لحفظها، تهدف إلى تحقيق الهداية وضبط السلوك البشري من خلال استحضار مبدأ الحساب والجزاء.

يمثل توحيد الله وإفراده بالعبادة حجر الزاوية والغاية الكبرى التي من أجلها خلق الله البشر، فهو الأصل الذي يرتكز عليه بناء الإيمان وتوجيه السلوك البشري نحو العبودية الخالصة لله.

يترك مقصد الإيمان باليوم الآخر آثارا عميقة في توجيه سلوك الإنسان وضبط انفعالاته، وتبرز هذه الآثار بوضوح في الآيات الأخيرة من سورة البقرة التي أسست لمنهج سلوكي يربط العمل في الدنيا بالجزاء في الآخرة.

إن استحضار الوقوف للحساب يولد في النفس رقابة ذاتية صارمة تدفع إلى الاستقامة وتزجر عن الوقوع في المعاصي.

تكتسب أواخر سورة البقرة أهمية بالغة في التقرير العقدي والتشريعي فقد تفردت بخصائص عظيمة تدل على شرفها، مثل مصدرها من كنز تحت العرش ونزولها ليلة الإسراء والمعراج، إضافة إلى أثرها العملي في طرد الشياطين والتحصين، وأثرها التشريعي المتعلق بضبط حياة المجتمع.

ثانيا: التوصيات.

١. توجيه العناية الأكاديمية نحو دراسة المقاصد العقدية في سور قرآنية أخرى، لاستخراج الغايات التربوية والسلوكية الكامنة فيها، وبيان أثرها في إصلاح الفرد والمجتمع.

٢. التأكيد على ضرورة تجاوز الطرح الفلسفي الجدلي المجرد في تدريس علم العقيدة الإسلامية، والانتقال إلى الطرح المقصدي الذي يربط حقائق الإيمان بواقع الناس ويوجه سلوكهم العملي.

٣. دعوة الباحثين وطلاب العلم في الدراسات العليا إلى إفراد خواتيم السور القرآنية بدراسات موضوعية ومقاصدية مستقلة، لما تحويه من خلاصات عقدية وتشريعية جامعة تمثل مقاصد الدين الكبرى.

وفي الختام، أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به، فإن أصبت فمن الله وحده، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

١) المصادر:
٢) كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)، تحقيق د مهدي المخزومي، ود إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (٢ / ٤٨، ٣ / ١٩٦.)
٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ)، (٣٥ / ٢٧٤)، رقم الحديث: ٢١٣٤٤.
٤) صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر)، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ، (٢ / ١٠٠، ٤ / ٣٧٨)، أرقام الأحاديث: (١٣٨٥، ٧٣٧٢.)
٥) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، (١ / ٥٥٤، ٢ / ١٩٨، ٣ / ١٢٠٦)، أرقام الأحاديث: (٨٠٦، ٨٠٧، ١٥٨٠.)
٦) سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، (٥ / ١٠)، رقم الحديث: ٢٨٨٢.
٧) متن العقيدة الطحاوية، أبو جعفر أحمد بن محمد الأزدي الطحاوي (ت ٣٢١هـ)، (ص: ١٧.)
٨) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م، (٨ / ٢٧٤.)
٩) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط٤، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، (٢ / ٢٥٤.)
١٠) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م، (٥ / ٩٥، ٦ / ٩٠.)
١١) إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، دار المعرفة، بيروت – لبنان، (١ / ٩٧.)
١٢) المستصفى في علم الأصول، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، (ص: ١٧٤.)

١٣) مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التيمي الرازي (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ، (٣٢ / ٢٤٣.)

١٤) لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت – لبنان، ط٣، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، (٣ / ٩٦.)

١٥) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري (ت ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، (٢ / ١٤٢.)

١٦) الموافقات في أصول الفقه، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي (ت ٧٩٠هـ)، تحقيق عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت، (٢ / ٣٨٥.)

١٧) شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت ٧٩٣هـ)، دار المعارف النعمانية، باكستان، ط١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، (١ / ٧.)

١٨) القول السديد شرح كتاب التوحيد، أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، وزارة الشؤون الإسلامية، السعودية، ط٢، ١٤٢١هـ، (ص: ١٧.)

١٩) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ)، دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، (٢ / ٣٣٥.)

٢٠) مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف، قطر، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، (٢ / ٤٠٣.)

٢١) الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م، (٦ / ١٧٤.)

٢٢) معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ)، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، (٢ / ١٤٤٨.)

٢٣) تاريخ الفكر الديني الجاهلي، محمد إبراهيم الفيومي (ت ١٤٢٧هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٤، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، (ص: ٢٤.)

ثانياً: المراجع والرسائل المعاصرة:

٢٤) الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية، آمال بنت عبد العزيز العمرو، (ص: ١٣.)

٢٥) زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، مكتبة

دار القلم والكتاب، الرياض – السعودية، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، (ص: ٢٣٣.)

٢٦) شرح الرسالة التدمرية، محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار أطلس الخضراء، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، (ص: ٣٨٢.)

٢٧) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، محمد أحمد محمد عبد القادر خليل مكاوي، مكتبة دار الزمان، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، (ص: ١٤٣.)

٢٨) الفقه الإسلامي وأدلته، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر، دمشق – سورية، ط٤، (١ / ١٩، ١ / ١٣٩.)

٢٩) مختصر تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، ط٧، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م، (١ / ٤٠٨.)

٣٠) مسالك العلم بالمسالك العقدية عند الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، عبد الرحمن بن مقبل بن سالم الشمري، المجلة الأكاديمية للأبحاث والنشر العلمي، الإصدار ٤٧، ٢٠٢٣م، (ص: ٣١٦.)

٣١) مقاصد العقائد عند الإمام العز بن عبد السلام، بوطيب عبد القادر، إشراف د عمار جيدل (رسالة جامعية)، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، ٢٠١٣م، (ص: ٣٠.)

٣٢) المقاصد العقدية في القصص القرآني، الزايدي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، (ص: ٢٣.)

٣٣) الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، د محمد مصطفى الزحيلي، دار الخير، دمشق، ط٢، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، (١ / ٣٣.)

٣٤) مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، (٧١ / ٢٥٦.).